الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي
جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة
فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا أتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال
وقرئ بادغامها في التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على
وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف
كما في قول من قال • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا • اي ان كان
الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم
الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر ولان المراد به جميع
عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون
كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما
اسندوه اليه من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى
مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه
لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه سبحانه وام اما متصلة والاستفهام
للانكار التقريري المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تتقولون عليه
تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال
من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله
عز وعلا الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته
تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار
كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه
عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب
النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر
كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم
بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه وجوارحه الا وقد
اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه
الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن
ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطا والربيع

وقيل

٦٧

وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على
ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيته وخطيته
على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ
اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ
عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبته النار وما فيها
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب
لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد
وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات و
احاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة حسب ملازمتهم في الدنيا
لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى وتحريف
كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب
النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما فيه من قصد الاشعار
بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين
كما زعموا فلا حجة في الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكفار
ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد
بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى و
التبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض اخر من
قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب
به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم
او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقكم
لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وابلغ من
صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر
به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب
ورفع الفعل كما في قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وانا اشهد اللذات هل انت مخلدي • ويعضده

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)